خطبة السيدة عائشة يوم الجمل دراسة في ضوء السبك النصي

د. مها بنت هادى العنزي

أستاذ مساعد بكلية التربية بالخرج . جامعة الأمير سطام

حاصل على الماجستير من جامعة برادفورد تخصص اللغات

حاصل على الدكتوراه من جامعة الملك سعود تخصص النحو والصرف وعلم اللغة

The Speech of Lady Aisha on the Day of the Camel:

A Study in the Light of Textual Analysis

Ph.D. Maha Bint Hadi Al-Anzi

Department of Arabic Language, College of Education, Prince Sattam University, Al-Kharj, Saudi Arabia.

Emai: ma_alanazi@yahoo.co.uk

الملخص

أضحت الدراسات النصية اتجاهًا حديثًا في الدراسات اللغوية، وفرعًا من فروع علم اللغة، يستمد حداثته من كونه منعطفًا معرفيًا في التحليل اللغوي، تم فيه تجاوز حدود الجملة بوصفها الوحدة الصالحة للتحليل اللغوي، إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو النظر إلي المتواليات والمتتابعات الجملية أو ما يسمى بالنص، وذلك وفق معطيات تعتمد على النظرة الكلية الموسعة للنص، حيث تم الاهتمام في هذه الدراسات بالعديد من الأشياء منها: الاتصال وأطرافه، وشروطه وقواعده، وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل، ومستويات الاستخدام، وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في المتلقي، وأنواع المتلقين، وصور التلقي، وانفتاح النص وتعدد قراءاته، وما إلي ذلك.

ومن هذا المنطلق كان هذا البحث الذي يقوم على تطبيق معيار من معايير الدراسة النصية السبعة التي اقترحها (دي بو جراند)، وهو معيار السبك النصي ووسائله المتمثلة في (الإحالة، والربط، والحذف) على نص من نصوص العربية الفصيحة، وهو (خطبة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– يوم موقعة الجمل).

وينشد البحث الوصول إلى تحقيق بعض الأهداف التي منها: مواكبة سنن التطور والتجديد في المجال اللغوي بالاطلاع على الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، وإظهار مدى قابلية النصوص العربية لتطبيق المنجزات اللغوية الغربية عليها، وما لذلك من أثر في بيان أوجه التلاقي بين التراثين اللغويين العربي والغربي على السواء.

الكلمات المفتاحية:

النص، معايير، السبك، الإحالة، الربط، الحذف.

Abstract

Textual studies have become a recent trend in linguistic studies and a branch of the science of language that derives its modernity from being a cognitive turn in linguistic analysis. It has surpassed the boundaries of the sentence as the major unit suitable for linguistic analysis to look beyond that to sequences and sentence successions, or what is known as the text. This is performed based on data that rely on an expanded holistic view of the text, where these studies have focused on many things such as communication and its parties, its conditions and rules, its properties and effects, interaction forms, usage levels, the aspects of influence achieved by textual forms on the recipient, types of recipients, reception images, text openness, multiple readings, and so on.

From this perspective, this research is based on the application of a standard from the seven textual study standards proposed by De Beaugrande, which is the textual cohesion standard and its means represented in (reference, conjunction, deletion), on a text from the classical Arabic texts, which is "The Sermon of the Mother of the Believers Aisha - may Allah be pleased with her - on the day of the Battle of the Camel."

The research here seeks to achieve some goals, including keeping up with the trends of development and innovation in the linguistic field by reviewing modern Western linguistic studies. It also seeks to demonstrate the extent to which Arabic texts are amenable to the application of Western linguistic achievements on them and the impact of that on highlighting the aspects of convergence between the Arabic and Western linguistic heritages equally.

Keywords:

Linguistics, Textual, Cohesion, Reference, Conjunction, Deletion

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فقد أضحت الدراسة النصية فرعًا من فروع علم اللغة الحديث بما تمثله من نقلة نوعية في مجال الدراسات اللغوية، حيث استطاع هذا النوع من الدراسة أن يؤسس لمرحلة معرفية جديدة، يتم فيها الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة المتواليات اللغوية بروابطها ودلالاتها أو ما يسمي بـ (النص) باعتباره وحدة لغوية كبري، وذلك وفق معطيات جديدة، من أهمها مراعاة التماسك، فضلا عن العديد من الجوانب الوظيفية، والدلالية، والتواصلية، وغيرها من قواعد تتحكم في إنتاج النص وتنظم مكوناته(١).

وقد اصطلح على تسمية هذه النوع من الدراسة بمصطلحات عدة منها (لسانيات النص)، و(نحو النص)، وغير ذلك، وهذا الانتقال المنهجي نحو الدراسة النصية كما يقول أحد الباحثين "يوجبه الفهم الحق للظاهرة اللسانية، فضلًا عن كونه اتجاهًا يتسق مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث"(٢).

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر الباحثين في تعريف النص وفقا لتباين المرجعيات والمنطلقات التعريفية(٣)، فقد استقر لدى المهتمين بعلم لغة النص ضرورة توافر عدد من المعايير الأساسية حتى يكون النص وحدة مستقلة في ذاتها، صالحة لإطلاق لفظ (النص) عليها، وهذه المعايير سبعة وفق ما اقترحه دي بو جراند وهى المعيار الأول: معيار السبك، وهو مناط الدراسة هنا، ثانيها: معيار الحبك، ثالثها: معيار القصدية، رابعها: معيار القبول أو المقبولية، خامسها: معيار الإعلامية، سادسها: معيار رعاية الموقف، سابعها: معيار التناص(٤).

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية د / صبحى إبراهيم الفقي ص ٢٩

(٢) ينظر: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص د / سعيد مصلوح ص ٤١٣. جامعة الكويت ١٩٩١م.

(٣) ينظر: السبك النصي فى العهد العلوي "الإحالة نموذجا" لظافر الجياشي ص ١٤.

(٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء لدي بو جراند، ترجمة د/ تمام حسان ص ١٠٣.

وهذه المعايير منها ما يتصل بالنص في ذاته وهما معيارا (السبك والحبك)، ومنها ما يتصل بمستعمل النص منتجًا كان أو متلقيًا، وهما معيارا (القصدية والمقبولية)، ومنها ما يتصل بالسياق المحيط بالنص سواء أكان ماديًّا أم ثقافيًّا وهى معايير (الإعلامية، والمقامية، والتناص)[١].

وقد اخترت للدراسة والبحث تطبيق معيار (السبك) بوصفه أحد أهم معايير الدراسة النصية على نص لغوي عربي، متمثل في خطبة السيدة عائشة -رضي الله عنها- يوم الجمل، وذلك في محاولة لتطبيق منجزات الدرس اللساني الحديث على النصوص العربية، رغبة في مواكبة سنن التطور خاصة في المجال اللغوي.

منهج البحث:

سرت في بحثي هذا متخذًا من الوصف والتحليل والاستنتاج أدوات إجرائية أتوسل بها لدراسة السبك بوصفه أحد أهم معايير علم اللغة النصي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة وفهرس بمصادر البحث.

ففي المقدمة حديث عن أهمية الموضوع ودوافع اختياره، أما التمهيد وعنوانه (خطبة السيدة عائشة يوم الجمل ومعيار السبك النصي: مقدمات تعريفية) تناولت فيه الحديث عن خطبة عائشة يوم الجمل من جهة نصِّها وسياقها وظروف إنتاجها، والسبك النصي من ناحية مفهومه وأهميته ووسائله.

- المبحث الأول: الإحالة وأثرها في السبك النصي.
- المبحث الثاني: الربط وأثره في السبك النصي.
- المبحث الثالث: الحذف وأثره في السبك النصي.
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع.

(١) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعر د/ سعد مصلوح بحث منشور في مجلة (فصول) المجلد العاشر العددان الأول والثاني ص ١٥٤.

هذا، والله أسأل أن يفيد منه طلاب العربية. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

التمهيد

(خطبة السيدة عائشة يوم الجمل ومعيار السبك النصي: مقدمات تعريفية)

أولًا: خطبة السيدة عائشة يوم الجمل.

أ- سياق الخطبة وظروف إنتاجها.

يذكر ابن خياط في تاريخه التوقيت الزماني والمكاني لهذه الخطبة، وأنها كانت يوم موقعة الجمل، تلك المعركة الحربية التي كانت بين الإمام على -رضي الله عنه- ومن خرج عليه، فيقول: "كَانَت وقْعَة الْجمل بِالْبَصْرَةِ بالزاوية نَاحيَة طف الْبَصْرَة يَوْم الْجُمُعَة لعشر خلون من جُمَادَى الْآخِرَة سنة سِتّ وَثَلَاثِينَ للهجرة"(١).

ويذكر ابن كثير الظروف التاريخية لوقوع تلك المعركة فيقول:

"لَمَّا وَقَعَ قَتْلُ عُثْمَانَ بن عفان -رضى الله عنه- بَعْدَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، كَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عليه وسلم- أمهات المؤمنين قَدْ خَرَجْنَ إِلَى الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ؛ فِرَارًا مِنَ الْفِتْنَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ أَنَّ عثمان قد قتل أقمن بمكة، وأقاموا بها، وجعلوا ينتظرن ما يصنع الناس، ويتجسَّسن الأخبار، فلما بويع لعلي وصار حظ النَّاسِ عِنْدَهُ -بِحُكْمِ الْحَالِ وَغَلَبَةِ الرَّأْيِ لَا عن اختيار منه لذلك- رؤوس أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ، مَعَ أن عَلِيًّا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَكْرَهُهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَرَبَّصَ بِهِمُ الدَّوَائِرَ، وَيَوَدُّ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ لِيَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَمَّا وَقَعَ الْأَمْرُ هَكَذَا، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَيْهِ، وَحَجَبُوا عَنْهُ عِلْيَةَ الصَّحَابَةِ، وفَرَّ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَغَيْرِهِمْ إِلَى مكة، واستأذنه طلحة بن الزبير فِي الِاعْتِمَارِ، فَأَذِنَ لَهُمَا فَخَرَجَا إِلَى مَكَّةَ، وَتَبِعَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَكَانَ عَلِيٌّ لَمَّا عَزَمَ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ نَدَبَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ فَأَبَوْا عليه...ثُمَّ تَجَهَّزَ ابْنُ عُمَرَ وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدِمَ إِلَى مَكَّةَ أَيْضًا فِي هَذَا الْعَامِ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا لِعُثْمَانَ، وَمَعَهُ سِتُّمِائَةِ بَعِيرٍ وستمائة ألف درهم، وقدم لها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ نَائِبَهَا لِعُثْمَانَ، فَاجْتَمَعَ

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط البصري (ت ٢٤٠ هـ) تحقيق د. أكرم ضياء العمري ١/ ١٨١، دار القلم، مؤسسة الرسالة – دمشق، بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ

فِيهَا خَلْقٌ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَامَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فِي النَّاسِ تَخْطُبُهُمْ وَتَحُثُّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِطَلَبِ دَمِ عُثْمَانَ(١).

ب- نص خطبة عائشة:

أورد ابن طيفور في بلاغات النساء قوله: "حدثني أبو السكين زكريا بن يحيى قال: حدثني عم أبي زحر ابن حصن عن جده حميد بن حارثة بن منهب بن خيبري بن جدعا قال: "حججت في السنة التي قتل فيها عثمان، فصادفت طلحة والزبير وعائشة بمكة، فلما ساروا إلى البصرة سرت معهم، فلما وقفت عائشة بالبصرة قالت(٢): "إن لي عليكم حرمة الأمومة، وحق الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم وآله- بين سحري ونحري(٣)، وأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادخرني ربي، وحصَّنني من كل بضع، وبي ميَّز مؤمنكم من منافقكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء، ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما وأبي رابع أربعة من المسلمين(٤)، وأول من سمي صِدِّيقًا، قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو عنه راض، وقد طوَّقه وهف(٥) الإمامة، ثم اضطرب

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري ٧/ ٢٥٧. ط / دار إحياء التراث العربي. الأولي ١٩٨٨م.

(٢) في نسخة الخطبة من العقد الفريد أن أولها قولها: "يا أيها الناس صه صه" ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ) ٤/ ٢١٥ ط / دار الكتب العلمية بيروت. الأولي ١٤٠٤هـ

(٣) ويروي "بَين شجري وبجري"، تريد أنه قبض، وَقد ضمته بِيَدِهَا الى نحرها وصدرها. وخالفت بَين أصابعها كَمَا يفعل من يضم الشَّيْء الَّذِي بِمَا يَدَيْهِ الى صَدره. وَالْمَحْفُوظ هُوَ الأول. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٤٥٧

(٤) قولها "وأبي رابع أربعة" أخلت منه خطبتها في نسخة العقد الفريد. ومعناه "أنه أسلم قبله خديجة وعلى وزيد بن حارثة". ينظر: الأوائل لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ١/ ١٤٠، ط / دار البشير بطنطا. الأولي ١٤٠٨هـ.

(٥) وهف الإمامة أي: معظمها كما في الأوائل للعسكري ١/ ١٤٠. وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): "قد طوقه وهف الْأَمَانَة أَو الامامة: تَعْنِي: الصَّلَاة. وَلست أعرف اشتقاق الْحَرْف. وَأَحْسبهُ: وهق الْأَمَانَة. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (ت ٢٧٦) ٢/ ٤٥٧. و قال الأزهري: " الواهف قيّم البَيْعَة وَمِنْه قَول عَائِشَة فِي صفة أَبِيهَا: قلّده رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهْفَ الدِّين، أَي قَلَّدَه الْقيام بشَرَف الدِّين بعدَه، كأنّها عَنَتْ أَمَره إيّاه بِأَن يُصلّي بالنَاس فِي مَوْضِعه. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري تحقيق د / محمد عوض مرعب ٦/ ٢٣٦ . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولي ٢٠٠١م.

حبل الدين، فأخذ أبي بطرفيه، ورتق لكم أثناءه[١]، فوقد النفاق[٢]، وأغاض[٣] نبع الردة، وأطفأ ما تحش[٤] يهود، وأنتم يومئذٍ جحظ العيون، تنظرون العدوة، وتستمعون الصيحة، فرأب الثأى، وأوذم العطِلة[٥]، وامتاح من المهواة [٦]، واجتحى دفين الداء[٧]، ثم انتظمت طاعتكم بحبله، فولى أمركم رجلًا شديدًا في ذات الله عز وجل، مذعنًا إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين إذا ضل[٨]، عُرَكَة للأذاة بجنبه[٩]، فقبضه الله واطئًا على هامة النفاق، مذكيًا نار الحرب للمشركين، يقظان الليل في نصرة الإسلام، صفوحًا عن الجاهلين، خشاش المرآة

(١) قولها "ورتق" أى أصلح، والأثناء: الأطراف من الثناية، وهي: الحبل من الشعر أو الصوف. ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق / رمزي منير بعلبكي ١٠٣٧/٢ ط / دار العلم للملايين بيروت . الأولي ١٩٨م.

(٢) قولها "وقد النفاق" من القَدّ: وهو قطع الجلد وشق الثوب ونحوه. يقال: قَدَدْتُ وسطه بالسيف، وقَدَدْتُ القميص فانقَدَّ أى انشق. ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدى . تحقيق د / مهدي المخزومي، د / السامرائي ١٦/٥ ط / دار وكتبة الهلال (د. م)

(٣) قولها "وأغاض من غاضَ الماءُ يَغيضُ غَيْضًا، أي قَلَّ ونضب" ينظر: الصحاح للجوهري تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ١٠٩٦/٣ . ط / دار العلم للملايين بيروت . الثالثة ١٩٨٤م.

(٤) تحش من قولهم "حشَشت النَّار بالحَطَب أَحُشّها حَشًّا، وَهُوَ ضمّكَ مَا تفرق من الحَطب إِلَى النَّار" ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٥٢/٣

(٥) قولها "فرأب" بمعنى: أصلح، والثأى بسكون الهمزة وفتحها: الإفساد وأصله:أثر الجرح، وقولها "وأوذم العطلة" منْ قَوْلِهِم: دَلْوٌ عَطِلَةٌ: إذا انْقَطَعَ وَذَمُها أى حبلها، فتَعَطَّلَتْ منَ الاسْتِقَاءِ بِها. والمعنى أنه شد السقاء بالوذمة أى رد الأمور إلي نظامها. ينظر: العين ٢٥١/٨، و التكملة للصاغاني ٤٤٨/٥. وفى العقد الفريد بدلا من ذلك قولها "وأوَّد من الغلظة" ٤/ ٢١٦.

(٦) امتاح: أى استقي، والمهواة: البئر العميقة أرادت أنه تحمل ما لا يتحمله غيره. ينظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد للهروي (ت ٤٠١) تحقيق د / أحمد فريد المزيد ي ١٩٥٤/٦ " ط / مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية . الأولي ١٩٩٩م.

(٧) زاد في العقد الفريد بعد هذه العبارة قولها "وحتى أعطن الوارد، وأورد الصادر، وأعل الناهل" ٢١٦/٤.

(٨) أرادت: واسع العطن واسع الصدر، فاستعارت له لفظ اللابة، والأصل فيه أن مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بين لابتين وحرم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما بين لابتيها، يقال: ما بين لابتيها أجهل من فلان، أراد ما بين طرفي المدينة. ينظر: الغريبين للهروي ١٧٠٨/٥.

(٩) أي كثير احتمال الأذى. ينظر: النهاية في عريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت ٦٠٦) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ٢٢٢/٣. الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

والمخبرة[١]، فسلك مسلك سابقيه، ففرق شمل الفتنة، وجّمع أعضاد ما جّمع القرآن[٢].

وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا، لم أجرد إثمًا أدرعه[٣]، ولم أدلس فتنة أوطئكموها، أقول قولي هذا صدقًا وعدلًا، واعتذارًا وتعذيرًا، وأسأل الله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وأن يخلفه في أمته بأفضل خلافة المرسلين، وأني أقبلت لدم الإمام المظلوم[٤]، المركوبة منه الفقر الأربع، حرمة الإسلام، وحرمة الخلافة، وحرمة الصحبة، وحرمة الشهر الحرام، فمن ردنا عن ذلك بحق قبلناه، ومن خالفنا قتلناه، وربما ظهر الظالم على المظلوم، والعاقبة للمتقين"[٥].

ثانيا: (معيار السبك) في الدراسات النصية.

المفهوم والأهمية

أولًا: من الناحية اللغوية:

السَّبكُ: مصدر للفعل "سبك" الذي يطلق على عملية إذابة الذهب والفضة ووضعهما فى شيء يجعلهما فى وضع التماسك والقالبية، يقول الخليل:

"السَّبْكُ: تَسبيكُكَ[٦] السَّبيكةَ من الذهب والفضة، تذاب فتفرغ في مِسْبَكَةٍ من حديد كأنها شق قصبة"[٧].

ويقول ابن دريد: "سبكت الْفضة وَغَيرهَا أسبكها سبكا إِذا أذبتها. والمصدر السبك وَالْجمع سبائك، وَالشَّيْء سبيك، وَمَسْبُوك. والسبيكة: الْقطعَة من الْفضة وَغَيرهَا إِذا

(١) تُرِيدُ: انه لطيف الجِسْم فِي رَأْي الْعين وَعند الاختبار أَيْضا اذا تجرد غير سمين. ينظر: غريب الحديث لأن قتيبة ٤٦٥/٢.

(٢) هكذا الرواية في العقد الفريد ٢١٦/٤، والاوائل للعسكري ١٣٨/١. ولعل صوابها: جمع أعضاد ما تفرق من القرآن وأعضاد كل شئ: ما يُشَدُّ حواليه من البناء وغيره، أرادت ما تفرق منه. ينظر: الصحاح ٥٠٩/٢.

(٣) رواية العقد الفريد "لم ألتمس إثما"، "ولم أورث فتنة أوطئكموها" ٦٥/٥.

(٤) من هنا إلى آخر الخطبة زيادة عن العقد الفريد.

(٥) ينظر خطبة السيدة عائشة فى: بلاغات النساء لابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) ٩/١، والأوائل للعسكري ١٣٨/١، ونثر الدر في المحاضرات للآبي (ت ٤٢١هـ) ١٠/٤، وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية لأحمد زكى صفوت ٣٠٦/١.

(٦) هكذا في العين للخليل (ت ١٧٠هـ) ٣١٧/٥ وهي مصدر للفعل "سبك" مضعف العين.

(٧) ينظر: العين ٣١٧/٥.

استطالت"[١].

ثانيًا: في الاصطلاح اللساني الحديث:

يعد السبك أحد معايير البحث النصي السبعة، ويطلق عليه العديد من المصطلحات الأخرى مثل (الاتساق، والتماسك، والتضام، والترابط الرصفي) وغيرها، ويعنى به: مجموعة العلاقات أو الأدوات الشكلية التي تسهم في الربط بين عناصر النص، وهو عند دي بو جراند عبارة عن: "مجموعة من الإجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدى السابق منها إلي اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط"[٢]، كما يعرف أيضا بأنه: ذلك التماسك الشديد بن الأجزاء المشكّلة لنصٍّ أو خطاب ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللغويّة الشكليّة التي تصل بين العناصر المكوِّنة لجزء الخطاب، أو الخطاب برمته"[٣]، فالسبك إذن مصطلح لـ"مجموعة الوسائل التي عن طريقها تتحقق خاصية الاستمرارية في ظاهر النص"[٤].

ويعنى بظاهر النص بحسب سعد مصلوح: "الأحداث اللغوية التي ننطق بها، أو نسمعها في تعاقبها الزمني، التي نخطها أو نراها... وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًّا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته، كما يؤكد د. مصلوح: "نحوية هذه الوسائل بإطلاقه مصطلح (الاعتماد النحوي) عليها، ويقرر أن هذا الاعتماد النحوي يتحقق" في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع، هي:

١. الاعتماد في الجملة.
٢. الاعتماد فيما بين الجمل.
٣. الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.

(١) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ) ٣٣٩/١.

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء لدي بو جراند ترجمة د/ تمام حسان ص ١٠٣. ط/ الأولي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب / محمد خطابي ٥. ط الأولي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.

(٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق د / صبحى الفقي ٩٥. ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجان، القاهرة ١٩٩٧م.

٤. الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.
٥. الاعتماد في جملة النص[١].

ويمكن تحديد العلاقة التي تجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لمصطلح (السبك) بكونها تتمثل في تجميع ما هو مبعثر ومتفرق وإخراجه في صورة كلية موحدة.

ومن هنا كان اعتبار مصطلح (السبك) دون غيره من المصطلحات الأخرى؛ لقربه من المفهوم الاصطلاحي للفظ السبك في الدراسات الحديثة من جهة، ولشيوع المصطلح في الدراسات اللغوية العربية التراثية من جهة أخري[٢].

السبك في التراث اللغوي العربي

مما لا شك فيه أن الدراسات النصية ليست وليدة الدراسات اللغوية الحديثة، بل لها جذورها وامتداداتها في الدراسات اللغوية السابقة عليها، سواء أكانت عربية أم غربية على حد سواء.

وبالتأمل في التراث اللغوي العربي نجد أن كثيرًا من معالم النظرية النصية الحديثة حاضر وبقوة في ذلك التراث التليد، وإن لم يتبلور لدى علماء العرب في شكل نظرية متكاملة الأركان متضحة المعالم، فالتراث العربي حافل بالكثير من إجراءات التماسك (السبك) النصي التي تعتمدها الدراسات اللسانية في اتجاه دراسة النص بوصفه الوحدة الكبرى القابلة للتحليل اللغوي، حيث أدرك اللغويون العرب أن النص يجب أن يكون وحدة واحدة، و ذكروا بعض أسس السبك النصِّي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظرية التماسك النصي، فقدموا نظرية نحوية نصية متكاملة في كتب الإعجاز القرآني، وكتب البلاغة والنقد الأدبي، وعلوم التفسير وعلوم القرآن.

ومن نماذج الإشارات التراثية العربية لمصطلح السبك (التماسك)، ما قرره الجاحظ من أن الحكم للشعر بالجودة إنما هو ناتج من تلاحمه وتماسكه، فقال: "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغًا جيدًا، وسبك سبكًا واحدًا،

(١) ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية د/ سعد مصلوح ٢٢٦ / ٢٢٧.ط الأولى، لجنة التأليف والتعريب، جامعة الكويت – الكويت ٢٠٠٣م.
(٢) ينظر: السابق ٢٢٦.

فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[١].

وقد اهتم النحاة القدماء بالمسائل التي تجعل النص اللغوي متماسكًا، من علاقات بين الجمل، ودور المشاركين والسياق، وبالروابط الداخلية والخارجية، كما درس النحاة بنية النص القرآني على أنها بنية مقصودة متماسكة وغير مستقلة عن السياق، وبحثوا علاقات اتصال الكلام أوله بآخره، وعلاقات الألفاظ بعضها ببعض، وربطها بالحكم الإعرابي[٢].

كما ساهم العلماء العرب من خلال بحثهم لوجوه الإعجاز القرآني في الوصول إلى العديد من مظاهر السبك النصي، فنجد ابن قتيبة ت(٢٧٦هـ) مثلا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) يهدف من تأليفه الدفاع عن القرآن من محاولات التشكيك فيه[٣]، فيضمنه الحديث عن كثير من القضايا الخاصة بانسجام النصّ القرآني التي تنظر إلى السّور والآيات المتباعدة نظرة موحّدة متآلفة[٤].

كذلك نبه الإمام عبد القاهر الجرجاني على العديد من مظاهر الاتساق النصي التي تناولها في كتبه، والتي منها: ضرورة ربط اللفظ بالمعنى، وربط الكلام بعضه ببعض، فيقول: "اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدلُّ على سرائرها، ويبرز مكنون ضمائرها.....فلولاه لم تكن لتتعدّى فوائد العلم عالمه، ولا صحّ من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه، و لتعطّلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها، واستوت القضيّة في موجودها وفانيها... ولما عرف كفر من إيمان، وإساءة من إحسان، ولما ظهر فرق بين مدح وتزيين، وذمٍّ وتهجين، ثم إنَّ الوصف الخاصَّ به، والمعنى المثبت لنسبه، أنه يريك المعلومات بأوصافها التي وجدها العلم عليها، ويقرِّر كيفياتها التي تناولها المعرفة إذا سمت إليها...فالألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًّا

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ . تحقيق / عبد السلام هارون ١/٦٧.

(٢) مصطلح التماسك النصي في التراث اللغوي العربي "مقاربة نصية" د/ هبيرة عز الدين، نشر مجلة العلوم الإنسانية العدد ٤٩ لسنة ٢٠١٨م. صـ٩٢.

(٣) ينظر: مقدمة الكتاب لابن قتيبة، صـ٤.

(٤) ينظر: الانسجام في القرآن الكريم (سورة النور أنموذجا)، صـ١١٥، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦. ٢٠٠٧.

من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"[١]. فهذا النص من الإمام عبد القاهر يوحى بأهمية ما يميز الكلام والنظم عنده، وهو اتصال الكلام بعضه ببعض، والربط بين الكلمات لتحقيق التماسك في الجمل والنص عمومًا، وهو بلا شك عين ما آلت إليه الدراسات النصية الحديثة.

أهداف السبك: يهدف السبك إلى تحقيق الانسجام النصي عن طريق إظهار النص ككل موحد يسهم في تماسكه عدد من الروابط، أهمها الروابط السطحية التي تؤدى إلى الكشف عن الروابط العميقة للبناء النصي.

أشكال السبك: هناك عدة أشكال وأنماط للسبك النصي، وقد ذكر دي بو جراند ثمانية وسائل يتحقق بها السبك النصي وهى:

الوسيلة الأولى: إعادة اللفظ، وهو التكرار الفعلي للعبارات، ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي نفسها، أو مختلفة الإحالة، أو متراكبة الإحالة.

الوسيلة الثانية: التعريف، وهو مدى إمكانية التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها، ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حال ذكرها أول مرة عند هذه النقطة.

الوسيلة الثالثة: اتحاد المرجع، وهو استعمال عبارات سطحية مختلفة للدلالة على أمر واحد في عالم نص ما.

الوسيلة الرابعة: الإضمار بعد الذكر، وهو نوع من الإحالة المشتركة، يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص السطحي.

الوسيلة الخامسة: الإضمار قبل الذكر، وهو نوع من الإحالة المشتركة، يأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص السطحي، وهو ما يعبر عنه بضمير الشأن أو القصة.

الوسيلة السادسة: الإضمار لمرجع متصيد، وهو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا، غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف.

(١) ينظر: مقدمة أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: د/ محمود محمد شاكر ص١٤، ١٥.

الوسيلة السابعة: الحذف

الوسيلة الثامنة: الربط(١).

هذه هي أهم الوسائل التي يتحقق بها سبك النص، حيث يتم بواسطتها ربط الأفكار في بنية النص الظاهرة، أو بصورة مبسطة: يقصد به التشكيل النحوي للجمل والعبارات في شبكة من العلاقات الهرمية والمتداخلة، ويأتي في مستويات صوتية وصرفية تركيبية، ومعجمية، ودلالية(٢).

وسنقتصر هنا -بعون الله- على دراسة ثلاثة وسائل منها تعد أظهر الوسائل في الترابط النصي وهي (الإحالة بأنواعها، والحذف، والربط) فنقول وبالله التوفيق.

المبحث الأول: الإحالة وأثرها في السبك النصي.

تمهيد:

الإحالة في الكلام ظاهرة تقع في أساس كل منظومة فكرية(٣)، وتحتوي أي لغة طبيعية على عناصر تملك الإحالة(٤).

وتعد الإحالة من أهم الوسائل المعتبرة المحققة للسبك النصي، فلا يمكن تصور نص ما يخلو منها، كما لا يمكن تصور نص تغيب عنه تلك العناصر الإحالية.

والإحالة على اختلاف أنواعها، تخلق علاقات معنويَّة تكتسب دلالتها ممَّا تشير إليه، وهي عملية معنوية، ينشئها المتكلِّم في ذهن المخاطب، من طريق إيراده ألفاظا مبهمة الدِّلالة، يشير بها إلى أشياء، أو مواقف، أو أشخاص، أو عبارات، أو ألفاظ خارج النَّص، أو داخله، سابقة عليها أو لاحقة، في سياق لغوي، أو غير لغوي، بقصد الاقتصاد في

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء لدي بو جراند ترجمة د/ تمام حسان ص ٣٠١. ط / الأولي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: المعايير النصية لروبيرت دي بوجراند: قراءة نظرية في ضوء اللسانيات النصية العربية الحديثة، د/ هبيرة عز الدين ـ مجلة أبوليوس المجلد ٩ العدد ٢ ص ٢٥٠.

(٣) ينظر: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا للأزهر الزناد ١١٥..ط / المركز الثقافي العربي الأولي ١٩٩٣م.

(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب / محمد خطابي ١٧. والإحالة في ضوء علم اللغة النصي أ / محمد الأمين مصدق جامعة محمد خيضر بسكرة ص ٩٨.

اللفظ، وربط اللاحق بالسَّابق والعكس، بما يحقق التَّماسك في النَّصِّ[١]، ويتمثل الحديث عن الإحالة في النقاط التالية:

أولًا: المفهوم اللغوي للإحالة:

الإحالة في اللغة مصدر للفعل (أحال) وهو من الجذر اللغوي (حول) الذي يأتي في اللغة للدلالة على التحرك والتحول من شيء إلى شيء، ففي التهذيب عن أبي عبيد: حَالَ الرجل يَحُول مثل تَحَوَّل من مَوضِع إِلَى مَوضِع[٢]، ويقول الخطابي: أحالَ الرجُلُ إذَا تحوَّل من شيء إلى غيره"[٣].

ثانيًا: المفهوم الاصطلاحي:

تعددت محددات الإحالة لدى الباحثين في الدراسات النصية، فحددها دي بوجراند بقوله: "الإحالة هى العلاقات بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمى إلى نفس عالم النص، أمكن أن يقال عن هذه العبارات أنها ذات إحالة مشتركة[٤]، ومن أنواعها الكنائيات (الضمائر)، وأسماء الإشارة والموصولات ونحوها[٥]".

ويقول الأزهر الزناد مفسرًا لطبيعة العناصر الإحالية: "تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر أخري في أجزاء الخطاب"[٦].

العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للإحالة:

إذا ما رمنا الربط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الإحالة، فيمكن تلمس

(١) ينظر: الاحالة وأثرها في التماسك النصي دراسة في الخطبة الفدكية م. م أحمد موفق مهدى حسين ص ١٠٨.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠هـ) ١٥٨/٥.
(٣) ينظر: غريب الحديث للخطابي ٦٨٩/١.
(٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء لدي بو جراند ص ٣٢٠.
(٥) ينظر: السابق ص ٣٢.
(٦) ينظر: نسيج النص، للأزهر الزناد ص ١١٨.

ذلك من جهة أن المعنى اللغوي الدائر حول التغير والتحول لا يبعد كثيرا عن المفهوم الدلالي للإحالة النصية؛ من جهة أن الإحالة مبنية على فكرة العائدية أو المرجعية وما يحدث فيها من تحويل العنصر المحيل المتلقي وتوجيهه إلى المحال إليه، فاللفظ المحيل هو الذي يحيلنا على المعنى الدلالي لذات اللفظ، أو إلى ما أحال إليه محيله، وهذا ما يدل على التغير أو التحول عن الجهة.

ثالثًا: دور الإحالة في الترابط النصي:

لا شك أن إدراك البنية الإحالية في العبارات، والجمل، والكلمات، مع ما تعبر عنه من مسميات في العالم الخارجي يساعد المتلقي على الربط بين العنصر الإحالي وما يشير إليه، مما يؤدى إلى الترابط بين الأجزاء المكونة للنص باعتباره وحدة منسجمة كلية(١).

فالإحالةَ من الناحية الدلالية تؤدي دورًا مهمًا فى استرجاع المعنى في النصِّ مرة أخري عن طريق مجموعة من الكلمات يُسمى الأوَّلُ محيل، والثانى محال إليه، والأوَّلُ ليس له معنى مستقلٌ في ذاته، ويمكن معرفة دلالته بالرجوع إلى العنصر الثاني، الذي يقع إما في أجزاء أخرى من النص، أو قد يكون خارجيًّا يفهم من المقام، وبذلك يتمُّ استرجاعُ المعنى الدلالي مرة أخرى(٢).

فالإحالة تقوم بمدِّ شبكة من العلاقات بين العناصر المتباعدة في فضاء النصِّ فتجتمع عناصره مشكِّلة كلًّا واحدًا، إضافة إلى ما تقوم به الإحالة على المستوى اللفظي من تُجنب المتكلِّم التكرار بإعادة الألفاظ، فيتحقّق بذلك الاقتصاد اللغوي لإغنائها عن ذكر المحال إليه مما يحقق تماسك النص وتكثيف ترابطه.

رابعًا: أركان الإحالة:

إن استقراء تعريفات الإحالة وتطبيقاتها يؤكد أن عناصرها خمسة يرتبط بعضها ببعض ارتباطا لا يسمح لأحدها بالانفراد وهي: المحيل، والمحال إليه، والعلاقة بينهما، ومنتج النص

(١) ينظر: مفهوم الإحالة وموقعها من التماسك النصي مقال لـ أ. د / أحمد عرابي جامعة ابن خلدون مجلة إشكالات في اللغة والأدب ٣٤٧ (د. ت).

(٢) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ: د. حسام أحمد فرج: ٨٦.(د. ت).

(الكاتب/المتكلم)، والمتلقي (السامع/القارئ)[١].

خامسًا: أقسام الإحالة:

تنقسم الإحالة بوصفها وسيلة من وسائل سبك النص إلى قسمين أساسين:

القسم الأول: الإحالة النصية أو ما يسمي بـ"الإحالة الداخلية ":

وهي ذلك النوع من الإحالة الذي يشير إلى عناصر لغوية واردة داخل النص، سواء أكانت سابقة أم لاحقة على العنصر الإحالي، وهذه الإشارة تحقق التماسك في البنية النصية، وتتطلَّب من المستمع أو القارئ أن ينظر داخل النص للبحث عن الشيء المحال إليه[٢]، وتبعا لذلك فهي تنقسم إلى قسمين:

أ. إحالة سابقة (قبلية) وهي أكثر أنواع الإحالة دورانًا في النصوص، وهى التي تعود على مفسر متقدم في النص.

ب. إحالة لاحقة (بعدية) وهى التي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، ويذهب دي بوجراند إلى أن هذا النوع من الإحالات أقل شيوعًا واستعمالًا من النوع الأول، زيادة على صعوبة البحث عن المحال إليه في الإحالات الداخليّة البعديّة؛ نظرا لإمكانية تعدُّد وتشابه العناصر المحال إليها[٣].

ويري د/ نعمان بوقرة أن "الإحالة البعديّة التي تعود إلى عنصر سابق في النص، دخيلة على الدرس اللّغوي العربي؛ وإنّما ولجت إليه نتيجة تأثير اللغات الأجنبيّة على التركيب العربي المحدث بفعل الترجمة[٤].

(١) ينظر: السبك النصي في معاهدة الرسول –صلي الله عليه وسلم– مع نصارى نجران د/ منى إبراهيم عزام ص ٤١١. (د. ت)
(٢) ينظر: تحليل الخطاب لبراون، ويول تعليق د/ الزلطيني، ود/ منير التريكى. ص ٢٣٩. نشر جامعة الملك سعود ١٩٩٧م.
(٣) ينظر: النص والخطاب والإجراء لدي بو جراند ص ٣٢٧.
(٤) ينظر:المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب د/ نعمان بوقرة ص ٥٨.

القسم الثاني: الإحالة المقامية أو ما يطلق عليه الإحالة الخارجية:

وهي التي يكون العنصر الإحالي فيها يشير إلى عنصر آخر غير موجود داخل النص، بل في المقام الخارجي. ويتطلب هذا النوع من الإحالة من المتلقي الالتفات خارج النص للتعرف على العناصر المحال إليها وتحديدها(١)، يقول أحمد عفيفي: "إنَّنا في بعض الأحيان نجد أَنَّ الإحالة لا تصدق على شيء داخل النَّصِّ، بل تمتد إلى شيء خارج النَّصّ؛ مِمَّا يدلُّ على وجود علاقات متشابكة ومتفاعلة بين اللُّغَة والمواقف الاجتِماعِيَّة والثقافيَّة العامَّة، بل بينها وبين الخطاب بشكل عام؛ لأَنَّ الإحالة تقوم على مبدأ التفاعل بين المتلقي والنَّصِّ والمواقف العامة الخارجة عن النَّصِّ، وبدون هذا التفاعل يصير الانتفاع بقراءة النَّصِّ شيئًا غير مؤكد، أو ربما غير موجود"(٢).

وتقوم الإحالة بأنواعها على مبدأ الاتفاق بين العنصر الإشاري وبين العنصر الإحالي في المرجع(٣). وللإحالة أنواع كما تقدم وهي:

أ. الإحالة بالضمير.
ب. الإحالة الإشارية.
ج. الإحالة باسم الموصول.
د. الإحالة بأل التعريفية.

سنقوم بدراسة ذلك:

أولًا: الإحالة بالضمير:

تكتسب الضمائر أهميتها بوصفها تقع نائبة عن الأسماء والعبارات والجمل المتتالية إذ يحل ضمير ما محل كلمة أو عبارة أو جمل أو عدد منها، والضمائر هي:

"عناصر لغوية تفتقر إلى مفسر يعود عليها ويوضحها ويكشف عن مدلولها، كما

(١) ينظر: تحليل الخطاب لبراون ص ٢٣٨.
(٢) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي د / أحمد عفيفي ١١٧.نشر مكتبة زهراء الشرق الأولي ٢٠٠١م
(٣) ينظر: نسيج النص ١١٩.

تعد الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة إلى كيانات مغطاة"[١]، وتعمل الإحالة بالضمائر على تماسك النص وترابط أجزائه من الناحيتين الشكلية والدلالية داخليًّا وخارجيًّا على السواء[٢].

فتشكيل المعنى وإبرازه يعتمد بشكل ملحوظ على وضعية الضمائر داخل النص، ويعد الربط الإحالي بالضمائر من أكثر أنواع الإحالة شيوعًا وأعظمها تأثيرا في الترابط النصي.

وتنقسم الضمائر باعتبارها من وسائل السبك الإحالى إلى ضمائر وجودية، كـ (أنا، و أنت، وهو)، وضمائر ملكية نحو: (كتابي، وكتابك، وكتابه).

وهذه الضمائر ليست على درجة واحدة من جهة حصول السبك النصي بها، أو بعبارة أخرى: من جهة إسهامها في الترابط النصي، بل تتفاوت فيما بينها، فالضمائر التي تشير إلى خارج النص بشكل نمطى كالتكلم والخطاب أقل مساهمة في اتساق النصوص من ضمائر الغيبة التي لها اليد العليا في ذلك، يقول محمد خطابي في ذلك: "أما الضمائر التي تؤدى دورًا مهمًّا في اتساق النص فهي تلك التي يسميها المؤلفان أدوارًا أخري وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا، وهى على عكس الأولي تحيل قبليًّا بشكل نمطى إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه وقد عبر هاليداى ورقية حسن عن ذلك بقولهما: "حين نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص، فإن صيغة الغائب هي التي نقصد على وجه الخصوص"[٣].

وقد حفلت خطبة السيدة عائشة بهذا النوع من الإحالة على اختلاف أنواع الضمائر من حضور وتشمل ضميري (المتكلم) و(المخاطب) وضمائر غيبية بأنواعها. وإلى دراسة ذلك في نص خطبة السيدة عائشة.

أ. ضمير المتكلم:

اشتملت الخطبة على عدد من ضمائر المتكلم في ثناياها مثل قولها: "إن لي عليكم حق

(١) ينظر: تحليل الخطاب لبراون ٢٥٦.

(٢) ينظر: علم اللغة بين النظرية والتطبيق ١٣٧.

(٣) ينظر: لسانيات النص محمد خطابي ص١٨.

الأمومة".

وقولها "لا يتهمني".

وقولها "بين سحري ونحري".

وقولها "فأنا إحدى نسائه في الجنة".

وقولها "وخلّصني من كل بضع".

وقولها "وبي ميَّز مؤمنكم من منافقكم".

وقولها "وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء".

وقد ساهمت هذه الإشارات المرجعية المتعددة في تأكيد قيمة السيدة عائشة وبيان فضلها على سائر نساء المؤمنين فهي زوج الرسول، ومن هذا المنطلق فهي أم المؤمنين، ولها على الناس حق الأمومة، وإذا كان كذلك فلها الحق في الموعظة والإرشاد لأبنائها عن طريق إرشادهم إلى الجانب الذى ينبغي لهم أن يعضدوه ويناصروه.

وإذا كان الأمر كذلك فهي أبعد ما تكون عن الظنة، بحيث لا تتطرق إليها الشبهة ولا تتعلق بها التهمة.

كما يشير الضمير في قولها "بين سحري ونحري" إلي اختصاصها دون غيرها من أمهات المؤمنين بخصائص لم تتوفر لغيرها من نسائه -صلى الله عليه وسلم- منها: احتضانها للرسول الأعظم في أشد حالاته وهو خروج روحه الشريفة.

وقولها "خلصني من كل بضع" يعنى من كل نكاح، إشارة أخري لتميزها عن أمهات المؤمنين بتزوج الرسول لها بكرًا من بين جميع نسائه.

ويأتي قولها "وبي ميز الله بين مؤمنكم وكافركم" وهى إحالة لخارج النص إشارة إلى حادثة الإفك وما تم فيها من نزول براءتها فى الذكر الحكيم فى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

وقولها "وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء" الأَبْواءُ: موضع بِهِ قَبْرُ آمِنَةَ بِنْت وهبٍ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وقيلَ: قَرْيةٌ مِن أَعْمالِ الفُرْع بينَ المدِينَةِ والجحفَةِ بَيْنها وبينَ

المدِينَةِ ثلاثَةٌ وعِشْرونَ مِيلًا"(١).

ويشير ضمير المتكلم هنا إلى إحالة مقامية تقع خارج نص الخطبة وتريد بها السيدة عائشة ـرضى الله عنهاـ الإشارة إلى رخصة التيمم فقد كانت بسببها يوم سقطت قلادتها بذلك الموضع، فقد أخرج الطَّبَرَانِيّ عَن ذكْوَان حَاجِب عَائِشَة قَالَ: "دخل ابْن عَبَّاس على عَائِشَة فَقَالَ: أبشري مَا بَيْنك وَبَين أَن تلقي مُحَمَّدًا والأحبة إِلَّا أَن تخرج الرّوح من الْجَسَد كنت أحب نسَاء رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِلَى رَسُول الله وَلم يكن يحب رَسُول الله إِلَّا طيبا، وَسَقَطت قلادتك لَيْلَة الْأَبْوَاء فَأنْزل الله ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدا طَيِّبا﴾ [النساء: ٤٣]، وَكَانَ ذَلِك بسببك وَمَا أنزل الله لهَذِهِ الْأمة من الرُّخْصَة"(٢).

أما قولها "وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا" بضمير المتكلم (أنا)، فهو إشارة لما يتبادر من السؤال عن موقفها من هذه الفتنة وسبب خروجها ضد على رضى الله عنه وصحبه.

ثم قولها "لم ألتمس إثما، ولم أورّث فتنة أوطئكموها" إشارة إلى رضاها بهذا الموقف الذي اتخذته في هذه الفتنة، بكونها لم ترتكب الإثم ولم تشعل نار الفتنة.

ب . ضمير المخاطب:

ظهر ضمير الخطاب بوصفه ضميرا إحاليًّا في عدة مواضع من الخطبة من ذلك علي سبيل المثال ما يلي:

قولها "عليكم".

وقولها "وأنتم يومئذ جحظ العيون".

وقولها " تنظرون العدوة، وتسمعون الصيحة".

وفي هذا مواجهة بالخطاب لبيان أفضلية الصديق فى رد الفتنة بقتال المرتدين وحربهم.

وقولها "طاعتكم" ضمير المخاطب فيه لبيان النعمة في تولي الصديق أمر المسلمين.

وقولها "أمركم" يعنى شؤون أموركم، وفيه إشارة لأفضلية عمر –رضي الله عنه– وقيامه بأمر المسلمين.

---

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدى (ت١٢٠٥هـ) تحقيق/ مجموعة من المحققين ٢٧ /٣٢ نشر / دار الهداية (د. ت).

(٢) ينظر: الدر المنثور ١٦٩/٦.

ج . ضمير الغائب:

ورد ضمير الغائب فى أكثر من موضع فى الخطبة، وقد تعدد ما يحيل إليه ضمير الغيبة فى الخطبة وهو يحيل تارة على وصف المتهم لها بعصيان الله، وأخري على النبى المعظم وثالثة على الصديق ورابعة على عمر رضي الله عنه، وخامسة على عثمان رضى الله عنه، ويرى النصِّيُّون "أن من خصائص صيغ الغيبة أنها يمكن أن تأتي بعدد تراكمي كبير من الإحالات على الكلام السابق، وهى ظاهرة تسهم بشكل كبير في الترابط الداخلي للنص بما أنها تخلق نوعًا من خطوط الإحالة بحيث يرتبط كل استعمال بكل الاستعمالات السابقة التي تصل إلى) الإحالة الأولى) الأصلية[١].

ويؤدي ضمير الغائب الدور الأبرز من بين الضمائر في عملية الربط الإحالي لأنه غالبا ما يربط بين عنصرين داخل النص، فإحالته داخلية بخلاف ضمائر المتكلم والخطاب التي تحيل دائما إحالة خارجية، يقول الدكتور تمام حسان مظهرًا دور ضمير الغيبة في الإحالة: والمعروف أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يعد مرجعًا له، فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع"[٢].

وفيما يلي عرض لمواضع الإحالة بضمير الغائب مع الإشارة إلى الأبعاد الدلالية التي تحققها تلك الإحالة على النحو التالي:

فقولها "عصى ربه" ضمير الغائب هنا يرجع لكل من وجه لها التهم سواء كان ذلك فى حادثة الإفك أو التهمة لها بإثارة الفتنة بين المسلمين بخروجه مناوئة لعلى كرم الله وجه، وقولها إشارة إلى استحقاق العقوبة لكل من يفعل ذلك.

وقولها "نسائه" و"له ادّخرني" الضمير فيهما يرجع إلى النبي الأعظم وفيه إشارة إلى التشريف بإضافتها إلى نسائه عليه السلام.

وقولها في أخر الخطبة "وأن يخلفه" تقصد النبي -عليه السلام- فهى تتمنى الأفضلية فى

(١) ينظر: تحليل الخطاب ص ٢٣٩.

(٢) ينظر: البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني د/تمام حسان ص ١١٩. ط/عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م.

خلافة المسلمين لكون من يأتي يكون خلفا للرسول -عليه السلام- الذي هو أفضل خلق الله.

وقوله "راضيا عنه" وقولها "وطوقه" ضمير الغائب فيهما يعود على الصديق أبي بكر، وهذا المرجع يؤكد مدى حب النبي لوالدها ورضاه عنه.

ثم تتابعت ضمائر الغيبة العائدة على الصديق في بيان فضله وسبقه، وتقدمه وتعداد مآثره نحو قولها "وطوّقه أعباء الإمامة" وقولها "ورتق لكم فتق النفاق، وقولها "وأغاض نبع الردة" وقولها "المركوبة منه الفقر الأربع"، الضمير في "منه" إحالة قبلية يعود على الخليفة عثمان رضي الله عنه، وفي قولها هذا إشارة إلى أنه استحلَّ منه أَربعة أشياء عِظَام تجب لَهُ بهَا الْحُقُوق فَلم يرعوها وانتهكوها وَهِي حرمته بِصُحْبَة النبي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وصهره، وَحُرْمَة الْبَلَد وَحُرْمَة الْخلَافَة وَحُرْمَة الشَّهْر الْحَرَام وَكَانُوا قتَلُوهُ فِي شهر حرَام[1].

وهكذا أسهمت الإحالة بالضمائر في تشابك النظم في الخطبة وتماسكها من خلال تعيين مراجع الضمائر فيها، والتي تنوعت بين المتكلم والمخاطب والغائب، مما أسهم في استمرارية الدلالة، والمعاني القائمة بين الجمل المكونة للنص، فالخطبة ليست مجرد جمل منعزلة، بل هي جمل مترابطة تجمعها علاقات وروابط تؤكد المعنى المراد، إضافة إلى ما تضفيه هذه الضمائر من الاقتصاد اللفظي والإيجاز الشكلي المانع من التكرار والتطويل.

وفيما يلي جدول إحصائي توضيحي بمواضع الإحالة الضميرية في الخطبة:

(١) ينظر:غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٤٦٦.

أنواع الضمائر		
ضمير المتكلم	ضمير المخاطب	ضمير الغائب
لي	عليكم	عصي ربه
يتهمني	وأنتم حينئذ	له ادخري
سحري	تنظرون	نسائه
نحري	تسمعون	وهو عنه
أنا إحدى	رتق لكم	بطرفيه
ادخري	طاعتكم	طوقه
خلصني	أمركم	وقد النفاق
ثم أبي		ورتق لكم
بي ميز		رأب الثأى
بي أرخص الله		وأوذم
أنا نصب		وأغاض نبع
لم ألتمس		وأطفأ
مسيري		وامتاح
لم أورث		واجتحى
أقول قولي		بحبله
وإني أقبلت		فولي
ردنا		فقبضه
قبلنا		المركوبة منه
خالفنا		

ثانيًا: الإحالة الإشارية:

لم تخل الخطبة من أنواع الإحالات الأخرى فقد اشتملت على الإحالة الإشارية، والإحالة بالإشارة نوع من الإحالة، وهى مثلها مثل الضمائر من حيث الوظيفة في تحقيق الترابط النصي، لما لها من دور كبير في تحديد العلاقات اللغوية في الوحدات النصية وربط بعضها ببعض.

وقد عرف علماء لغة النص هذه الأهمية لأسماء الإشارة من جهة أنها تلفت انتباه المتلقي للشخص أو الشيء المشار إليه سواء أكان المشار إليه سابقا على عنصر الإشارة أم لاحقا له، وعن طرق الإشارة يشعر المتلقي بوجود المشار إليه وتجسيده فلا ينفصل عن متابعة النص(١).

ويحدد النصِّيُّون للإحالة الإشارية أركانا خمسة تقوم عليها هي: المشير، وهو المتكلم والباث، والمشار له وهو: المخاطب، والمشار إليه وهو: الشيء الخارجي، ومشار به وهو: أداة الإشارة " وعمل الإشارة، وهو المعنى الحاصل من الإشارة(٢)، وللإحالة الإشارية عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة، فتقسم حسب الظرفية، وحسب الحياد، أو البعد والقرب وغير ذلك.

وتتفق الإحالة الإشارية مع الإحالة بالضمائر في كونها تحيل عادة إلى ما هو داخل النص إلى إحالة داخلية، وتختلف الإحالة الإشارية عن الإحالة بالضمير في كون الإشارية تقوم بوظيفة تحديد مواقع الشخوص في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، بخلاف الإحالة بالضمير فتقوم بوظيفة تحديد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه"(٣)، وقد تمثلت الإحالة بالإشارة في الخطبة في مواضع على النحو التالي:

قولها "مسيري هذا " وهى إشارة قريبة تفيد تكثيف الدلالة بوصف استعدادها للسؤال عن سبب مسيرها وخروجها، وكأنه شيء قريب سهل.

وكذا فى قولها "أقول قولي هذا صدقًا وعدلًا، واعتذارًا وتعذيرًا" إشارة إلي ما تضمنته خطبتها من صادق الحديث في كل ما أخبرت به وهو ما يطلق عليه في علم لغة النص اسم "الإحالة الموسعة (٤)، والتي تتميز بها الإحالة الإشارية وتعنى إمكانية الإحالة إلى جملة أو متتاليات جملية كما هنا فقولها "هذا" إشارة إلى ما تقدم من جمل وعبارات متنوعة داخل

(١) ينظر: لسانيات النص ١٩.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص محمد الشاوش ٢/ ١٠٦٣، والسبك النصي في العهد العلوي الإحالة أنموذجا لظافر الجياشي ص ٥٢.

(٣) ينظر: نسيج النص للأزهر الزناد ١١٧.

(٤) ينظر: لسانيات النص ص ١٩.

الخطبة.

كما جاءت الإحالة الإشارية باسم الإشارة الدالة على البعيد في قولها "فمن ردنا عن ذلك بحق قبلناه" وهو إشارة إلي مطالبتها بدم قتلة عثمان وأنها لن ترجع عن الأخذ بثأره.

ثالثًا: الإحالة بأل التعريفية:

تعد الدراسات النصية الحديثة "أل" التعريفية وسيلة من وسائل السبك النصِّي، حيث اعتبر هاليداي ورقية حسن أن أداة التعريف من قبيل الوحدات الإشارية المحايدة، وأن لها نوعين من الإحالة هما: الإحالة المقامية تلك التي تتحدد بالسياق المقامى، أو بالدلالة على الجنس أو العرف، والإحالة المقالية بنوعيها القبلية والبعدية.

واعتبار أداة التعريف من الإحالة الإشارية كما يقول محمد الشاوش: "يقوم على توسيع مفهوم الإشارة على نحو يصبح فيه مشتملًا على ما يمكن أن نطلق عليه اسم إجراء التسمية أي ذكر اسم الشيء الذي يقصد الحديث عنه"(١).

ويوضح الدكتور/ إبراهيم محمود خليل دور (أل) في عملية الربط النصي بقوله: "وأل التعريفية لا يقتصر دورها على تحويل النكرة إلى معرفة؛ بل تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطا يشبه الإحالة بالضمير، من حيث إنها تذكر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق"(٢).

وتأتى (أل) إما للدلالة على الجنس، وإما للعهد، ولكل منها أقسام، فالعهدية كما يقول ابن هشام: "إِمَّا أَن يكون مصحوبها معهودا ذكريا نَحْو ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذا وَبِيلا﴾ [المزمل: ١٥-١٦]، وعبرة هَذِه أَن يسد الضَّمِير مسدها مَعَ مصحوبها، أَو معهودًا ذهنيا نَحْو "إِذْ هما فِي الْغَار" أَو معهودًا حضوريا نحو "جائنى هذا الرجل"، والجنسية: إِمَّا لاستغراق الْأَفْرَاد، وَهِي الَّتِي تخلفها كل حَقِيقَة نَحْو ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفا﴾

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص ١/١٢٨.

(٢) ينظر: فى اللسانيات ونحو النص د / إبراهيم محمود خليل ص٢٢٩. ط، دار المسرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمأن- الأردن، الثانية ١٤٣٠هـ

[النساء: ٢٨]، أَو لاستغراق خَصَائِص الْأَفْرَاد، وَهِي الَّتِي تخلفها كل مجَازًا نَحْو: زيد الرجل علما، أَي الْكَامِل فِي هَذِه الصّفة، أَو لتعريف الْمَاهِيّة وَهِي الَّتِي لَا تخلفها كل لَا حَقِيقَة وَلَا مجَازًا نَحْو ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠][(١)].

ويذكر علماء لغة النص أن (أل) التي للعهد الذكري هي أنسب أنواع (أل) وسيلة لتماسك النص؛ لأن إحالتها إحالة داخلية وهو ما يجعلها قادرة على ربط جملتين بعضهما ببعض"، وذلك أنه يتقدمها مذكور سابق[(٢)].

وقد تضمنت خطبة السيدة عائشة –رضى الله عنها– عددا من الإحالة بأل التعريفية من ذلك علي سبيل المثال:

قولها "الشأى" يحتمل كون (أل) فيه جنسية فيكون المعنى: قضاء أبي بكر على جنس الفساد الحادث في عهده، ويحتمل كونها عهدية أي فسادا بعينه وهو الردة.

أما قولها "الهوة" فأل فيها للعهد وتعنى بها: البئر بعيد القعر العميقة.

قولها "الإمام" (أل) فيه عهدية وتعنى به عثمان رضي الله عنه، وفي نعته بالإمام إشعار بكونه خليفة المسلمين، وأن قتله من عظائم الأمور.

أما (أل) في قولها "فربما ظهر الظالم" فهي جنسية وتفيد إمكانية طغيان الظالم على المظلوم حينا من الوقت إلا أن الغلبة تكون للمتقين.

وهكذا أسهمت (أل) بنوعيها الجنسية والعهدية بوصفها وسيلة من وسائل الإحالة في إحكام الترابط النصي في خطبة السيدة عائشة –رضى الله عنها– واتساقها عن طريق ما تؤديه (أل) العهدية من شبه اتفاق المتكلم والمخاطب على تحديد المرجع في الإحالة.

رابعًا: الإحالة باسم الموصول:

لا يقل دور الأسماء الموصولة عن دور أسماء الإشارة في تحقيق الربط بين المتواليات الجملية داخل النص، وقد عد دي بو جراند الموصولات ضمن وسائل الإحالة حيث يقول: "يقال

(١) ينظر: مغنى اللبيب لابن هشام تحقيق د / مازن المبارك ١/٧٢،٧٣.ط / دار الفكر ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: السبك النصي في معاهدة الرسول مع نصاري نجران ٤٣٦.

في العبارات، والضمائر، والإشارات، والموصولات ونحوها أنها ذات إحالة مشتركة"[١]، والموصولات كما هو معروف أسماء تفتقر في تعيين معانيها على ما يوضحها من الصلة[٢].

وعن طريق هذا الافتقار تتم عملية الربط النصي بالموصول، عن طريق إثارة المتلقي لتعيين المراد بالموصول في متتاليات الجمل، فاسم الموصول أداة واضحة من أدوات الإحالة التي تعمل على ترابط النص وتماسك أجزائه عن طريق تحديد دور المشاركين في الزمان والمكان، داخل المقام الإشاري؛ لكونه يحدِّد دور المشاركين في النص وترابطه، وتتحقّق إشاريَّته إذا ما دلَّ مع صلته على ذات أو مفهوم جرت الإحالة إليها بعد ذكره في النص، وينطبق هذا على الموصولات المشتركة عادة بينما يكون اسم الموصول المختص إحاليًّا إذا ما عاد على محال إليه سابق له عادة.

والموصولات من العناصر الإحالية التي تقومُ على مبدأ التَّماثلِ والتَّطابقِ بينَها وبينَ ما تعوضه، ويظهرُ هذا المبدأُ في اسم الموصول المختص مثل) الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، إلخ(، أمَّا الموصولات العامة مثل)من، ما...(فإنَّ فكرة التطابق والتماثل لا تنطبق عليها[٣].

هذا وقد اشتملت خطبة السيدة عائشة على هذا النوع من الإحالة أعنى الإحالة والربط باسم الموصول، من ذلك:

قولها: "لا يتهمني إلا من عصى ربه" فاسم الموصول المشترك "من" هنا يحيل إلى كثرة الذين تناولوها بالتهمة.

وقولها "وأول من سمى صديقًا" أحالت بلفظ "من" على أبيها الصديق إحالة قبلية إشارة لتقدمه وسبقه في تصديق الرسول -عليه الصلاة والسلام- واستحقاقه ذلك اللقب الذي لقب به فلم يشاركه فيه أحد.

كما جاءت الإحالة باسم الموصول "من" في قولها "فمن ردنا عن ذلك بحق قبلناه، ومن خالفنا قتلناه" إشارة لمطالبتها بأخذ حق عثمان بكل وجه، إما بقتل من قتله أو الاكتفاء

(١) ينظر: النص والخطاب ٣٢

(٢) ينظر: اللمع لابن جنى ١٨٩.

(٣) ينظر: الإحالة في نحو النص ٢٦.

بحق الدية.

ومما يلحظ على الإحالة باسم الموصول في قولها "من ردنا، ومن خالفنا" كونها تمت عن طريق اسم الموصول المشترك العام "من" وليس المختص "الذي وأضرابه" وفي ذلك مزيد من العموم اللفظي وما يتبعه من أثر دلالي يفهم بكثرة الفريقين من المخالفين والموافقين على إعطاء دية عثمان.

ومن خلال ما تقدم..

يمكن القول بأن الإحالة بالضمائر هي الشائعة في الخطبة فكانت أكثر من غيرها من أنواع الإحالات من حيث العدد، تليها الإحالة باسم الإشارة، ثم تحتل الإحالة بالموصول المرتبة الأخيرة عدديًّا بين أنواع الإحالة في الخطبة بوجه عام.

المبحث الثاني: الربط وأثره في السبك النصي

تمهيد:

إذا كان النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيًّا، ويلزم لكى تدرك هذه المتتاليات بوصفها وحدة متماسكة، أن تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص وجمله"[(١)].

ويعنى بالربط في الدراسة النصية: "مجموعة الوسائل التي تعمل على ربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص"[(٢)].

وقد عرف هاليداى ورقية حسن الربط بأنه: "تحديد للطريقة التي يرتبط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم".

وإذا كانت بعض وسائل السبك النصي كإعادة اللفظ، والاشتراك في الإحالة، والحذف، تحافظ على بقاء مساحات المعلومات، فإن الربط يشير -كما يري د/ تمام حسان- إلى

(١) ينظر: لسانيات النص ٢٣.

(٢) ينظر: السابق ٣٠١.

العلاقات بين هذه المساحات، أو بين الأشياء في هذه المساحات"[١].

أثر الربط في التماسك النصي:

مما لا شك فيه أن الربط بالعطف يحقق مزيدًا من السبك النصي عن طريق إظهار شدة الارتباط بين المفردات، والجمل المتعاطفة مما يسهم في تأكيد العلاقة الدلالية والمفهومية بينها.

وإذا كانت أداة العطف من الناحية الشكلية تتبع أبواب النحو؛ فما تحققه من مضمون دلالي يفوق أثرها الشكلي، فالعطف إذن شكلي الأداة دلالي المضمون فضلا عما يحققه من إيجاز لفظي. فإذا قلنا: "جاء محمد وزيد" مثلا، فالوصل هنا مغنٍ عن تكرار الفعل، فضلا عن إفادته التغاير بين العلمين في المثال، وأن محمدًا ليس زيدًا.

والربط أو الوصل بوصفه وسيلة من وسائل السبك النصي يختلف عن جميع أنواع ووسائل السبك؛ من جهة كونه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو فيما يلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف.

صور الربط

للربط صوره وأدواته المتعددة في الدراسة النصية، وسنقتصر هنا على دراسة أشهر صوره وأكثرها انتشارًا، وهي العطف أو ما يطلق عليه مصطلح (الوصل بحروف العطف).

وتتعدد أنواع الوصل بحروف العطف حسب تقسيم هاليداي ورقية حسن إلى: وصل إضافي بالواو، وعكسي بلكن ، وزماني بالفاء وثم.

والمتأمل لوسيلة الربط بالعطف كوسيلة من وسائل السبك النصي في خطبة السيدة عائشة يجد أنها الوسيلة الأكثر دورانا في الخطبة دون غيرها من وسائل الربط النصي بصفة عامة، وقد تنوعت أدوات العطف في خطبة السيدة عائشة فشملت حروف العطف الثلاثة: "الواو، والفاء، وثم"، وكانت الواو أكثر أدوات الربط ظهورًا في الخطبة، تليها الفاء، تليها ثم.

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء ٣٥.

أولًا: الربط بالواو.

ورد الربط بالواو العاطفة في عدد لا بأس به من أجزاء الخطبة، فنراه مثلا في قولها وهى تتحدث عن نفسها مبينة مميزاتها ومآثرها في قولها:

"وحصنني من كل بضع، وبي ميَّز مؤمنكم من منافقكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء"

فجاء الربط بين هذه الجمل، لتأكيد التناسب بين هذه الجمل واشتراكها في بيان مآثر السيدة عائشة وفضائلها واجتماع كل ذلك فيها.

وقولها: "فرأب الثأى، وأوزم العطلة، وامتاح من المهواة، واجتحى دفين الداء" ساعد العطف والربط بين هذه الجمل في بيان قيام الصديق -رضي الله عنها- بهذه الأمور العظيمة مما يشعر بمزيد منزلته وفضله.

وقولها "وحرمة الخلافة، وحرمة الصحبة، وحرمة الشهر الحرام"، وقد أفاد العطف بالواو هنا التأكيد على ارتكاب قتلة عثمان الفظائع في عدم مراعاتهم للحرمات الأربع المتعاطفة.

ثانيًا: الربط بالفاء.

فى قولها: "فأخذ أبي بطرفيه" مشعر بقيام أبي بكر بالأمر من بعد الرسول بلا تأخير زمنى أو عملي، وانتظام الأمر علي يديه حتى انتظم حبل الأمة فلم يتأخر في الاستمساك بحبل الدين فسارع لقتال الفسقة والمرتدين.

قولها: "فرأب الثأى" مشعر بما كان من أبي بكر من الإسراع في إصلاح ما فسد من أمر الإسلام.

قولها "فقبضه الله واطئا هامات المشركين" يوحى بقوة الفاروق وغلبته على أهل النفاق.

قولها "فانتظمت طاعتكم بحبله" يفيد استقرار أمر الدين والدولة بتولي أبي بكر الخلافة في وقت قصير وما يستدعيه ذلك من الجهد العظيم منه رضوان الله عليه.

قولها "فسلك مسلك السابقين"، العطف بالفاء هنا يوحى بانتظام الفاروق -رضي الله عنه- وسلوكه نهج أسلافه الرسول وأبي بكر في القيام بشؤون الأمة واضطلاعه بذلك دون تأخر. وكذلك الفاء في قولها "ففرق شمل الفتنة".

ثالثًا: الربط بـ "ثم".

ومن أمثلته ما جاء في قولها "ثم أبي ثاني اثنين" للإشعار بالبعد المعنوي بين حديثها عن نفسها وحديثها عن والدها، وأنه أعلى قدرًا منها، كونه صاحب الرسول في الغار. كما يشعر التعبير بثم عن التراخي الزمني بين مقولتها الآن، وما كان من صفة أبيها.

وقولها "ثم اضطرب" لبيان تراخي الاضطراب في الدين عن طريق الردة بعد وفاة الرسول وأن ذلك كان بعده بمدة غير يسيرة.

المبحث الثالث: الحذف وأثره في السبك النصي

تمهيد:

"الحذف" من أبرز الوسائل المعينة على اتساق النصوص وترابطها، وإحكام العلاقة بين أجزائها المختلفة، وقد أدرك علماء البلاغة العربية ما للحذف من قيمة جوهرية في نظم الكلام يقول الإمام عبد القاهر:

"هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"(١)، وقد أشار العز بن عبد السلام إلى الفوائد المرجوة من الحذف على المستويين اللفظي والدلالي من الاختصار والإيجاز، والترابط والإحكام فيقول: "وفائدة الحذف تقليل الكلام، وتقريب معانيه إلى الأفهام"(٢).

وقد أولت الدراسات النصية أهمية كبرى للحذف بوصفه من أكثر عناصر التماسك النصي شيوعًا.

وقد أطلق عليه دي بو جراند تسمية "الاكتفاء بالمبنى العدمي"(٣)، وعرفه بقوله: "هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع،

(١) ينظر: دلائل الإعجاز للجرجاني ١٤٦، وأمالي ابن الشجري ٨٤.
(٢) ينظر: امالي ابن الشجري ٨٤.
(٣) ينظر النص والخطاب والإجراء ٢٤٠.

أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"(١).

ويشرح د/ تمام حسان ذلك فيقول: "فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبا بعكس ما يبدو لمستعمل اللغة العادي، ففي قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، "لا مفر من فهم، وشهد الملائكة وشهد أولو العلم" بدليل ما فى آخر الآية من ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولو العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالي، ولكن هذا الفهم يوصل إليه حتى من غير طريق هذا التحليل، فالنص وما فيه من تناص بين أول الآية وآخرها... يحول دون ذلك الفهم الخاطئ فالعنصر المحذوف متوقع نحويًّا أو كما يسميه النحاة العرب مقدر، ويستعان على تقديره بدليل الحذف"(٢).

ولا يختلف الحذف بوصفه علاقة اتساقية مع الاستبدال إلا من جهة كون الحذف استبدالا صفريا، بمعنى أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، وهذا الأثر موجود وهو أحد عناصر الاستبدال بخلاف الحذف فلا يترك أثرا، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال؛ بينما الأمر على خلاف ذلك فى الحذف إذ لا يحل محل المحذوف شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغًا بنيويًّا يهتدي القارئ إلى مثله اعتمادا على ما جاء في الجملة الأولى أو النص السابق "فالمظهر البارز في اختلاف الحذف عن الاستبدال والإحالة هو عدم وجود أثر للمحذوف"(٣).

أما عن كيفية تحقيق الحذف للاتساق النصي فمن عدة جهات منها: الإيجاز اللفظي المانع من التكرار مما يسهم في خلق ترابط بين أجزاء النص، كما يؤدي الحذف إلى تكوين حوار طرفاه النصّ والمتلقِّي، وهو حوار يتجلَّى فيه تواصل المتلقي مع النصّ، ثم الحذف أيضا آلية تعمل على تنشيط خيال المتلقي، تحمله على التفاعل مع يتلقاه من خطاب، فدور المتلقي في إدراك مواطن الحذف وتعيينها، و قيامه بملء الفراغات في النص، يسهم

(١) ينظر السابق ص ٣٠٢.

(٢) ينظر النص والخطاب والإجراء ٣٤،٣٥.

(٣) ينظر لسانيات النص ٢٢.

في إكمال النصِّ، مما يؤدي إلى اعتبار المتلقي مشاركًا في العملية التواصلية إلى حد الإبداع فيها.

والمتأمل لخطبة السيدة عائشة مناط الدراسة يلحظ فيها عدة مواطن استعملت فيها الحذف لأغراض دلالية من ذلك علي سبيل المثال:

أولًا: في الجزء الذى تتحدث فيه عن نفسها:

- جاء حذف حرف النداء من قولها "أيها الناس" للدلالة على رغبتها في الدخول سريعا لموضوع الخطبة وأنه لا يحتمل التأخير، كما يحمل دلالة الرغبة في الاستجابة لما تدعو إليه.
- كما جاء حذف الجار والمجرور من قولها "وحق الموعظة" والتقدير "ولي عليكم حق الموعظة، وقد حقق الحذف هنا الإيجاز في تناول كثرة الحقوق التي تستأهلها والتي منها الوعظ والإرشاد للمسلمين باعتبارها من أمهاتهم.
- كما حذفت الجار والمجرور أيضا من قولها "إحدى نسائه فى الجنة" إذ التقدير "فى الدنيا" وقد ساعد الحذف على تصور أن كونها زوجة للنبي في الدنيا مما لا يخفى فلا يحتاج إلي تذكير.

ثانيًا: في الجزء الذى تتحدث فيه عن والدها الصديق.

- حذفت المسند إليه من قولها "ثم أبي" والتقدير "ثم هذا أبي" وقد أشعر الحذف بكونه معروفا مما لا يحتاج إلى إعادة ذكره.
- كما استعملت حذف ما يعود على والدها الصديق من العبارات المتتالية، وذلك قولها وهى تعدد مآثره "ورتق لكم أثناءه، فوقد النفاق، وأغاض نبع الردة، وأطفأ ما تحش يهود"، وقولها: "فرأب الثأى، وأوزم العطلة، وامتاح من المهواة، واجتحى دفين الداء"، والتقدير ورتق هولكم أثناءه، ووقد هو النفاق إلخ، وقد ساهم الحذف في التأكيد على قيام أبيها بهذه الأمور كلها، وافتخارها بأعماله وتعديدها وذكرها واحدًا واحدًا.

ثالثًا: في الجزء الذى تتحدث فيه عن سبب خروجها:

- جاء قولها "وإني أقبلت لدم الإمام المظلوم" فالتقدير: أي أقبلت للمطالبة بالقصاص ممن سفك دم الإمام المظلوم، وفي هذا الحذف إشعار برغبتها السريعة في القصاص من قتلة الخليفة عثمان.

وهكذا ساهم الحذف في الترابط النصي عن طريق الربط بين أجزاء النص، بمشاركة السامع في تلمس العبارات المحذوفة، مما يزيد في العملية التواصلية من خلال النص.

الخاتمة

الحمد لله فى البدء والختام، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد،

فقد انتهيت -بعون من الله وتوفيقه- من هذا البحث، بعد رحلة قضيتها في بيان معيار من أهم معايير الدراسة النصية الحديثة، وهو معيار السبك النصي، مع التركيز على أبرز طرقه ووسائله، ومدى ظهورها في نص خطبة السيدة عائشة -رضي الله عنها- يوم موقعة الجمل، وقد خلصت منها بعدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- أولًا: الدراسة النصية فرع معرفي جديد، ونقلة نوعية في ميدان الدراسات اللغوية تنتقل من فضاء الجملة إلى فضاء النص، بوصفه وحدة التحليل الأجدر بالعناية.
- ثانيًا: أهمية محاولة تطبيق منجزات الدراسة اللغوية الغربية على نصوص العربية مواكبة لسنن التطور في جميع المجالات ومنها المجال اللغوي.
- ثالثًا: يعد السبك النصي أحد أهم معايير الدراسة النصية السبعة وأكثرها اتصالا بذاتية النص.
- رابعًا: خطبة السيدة عائشة -رضي الله عنها- يوم الجمل مثال حي للبيان العربي في أرقى صوره، وأنموذج للنص العربي مكتمل الأغراض والأركان.
- خامسًا: تضمنت خطبة السيدة عائشة يوم الجمل عددًا من وسائل السبك والاتساق

النصي، وتأتى الإحالة بأنواعها في مقدمة هذه الآليات والوسائل.

- سادسًا: تشترك جميع أنواع الإحالة في تحقيق السبك النصي عن طريق وجود العلاقة بين العنصر المحيل وما يحيل إليه، وما يتبع ذلك من الترابط المفهومي في تحصيل تلك العلاقة.
- سابعًا: الإحالة بالضمائر هي الأكثر دورانًا بين أنواع الإحالة المستعملة في الخطبة، وتختص الإحالة بضمير الغائب بالنصيب الأوفر بين الضمائر من جهة العدد الإحالي.
- ثامنًا: الإحالة الإشارية من أنواع الإحالات النصية، ساهمت في ربط عناصر الجملة الواحدة، والربط بين أكثر من جملة فيما يعرف بالإحالة الموسعة.
- تاسعًا: ساهمت الإحالة باسم الموصول في تحقيق السبك في خطبة السيدة عائشة، وجاءت الإحالة باسم الموصول المشترك اكثر بروزًا في الخطبة من الإحالة باسم الموصول المختص وفائدة ذلك الدلالة على العموم.
- عاشرًا: لا تعدم الإحالات بأنواعها من ضمائر وأسماء إشارة وموصول وأداة تعريفية من تحقيق الاختصار والاقتصاد اللغوي عن طريق عدم إعادة الألفاظ وتكرارها.
- حادي عشر: الربط وسيلة من وسائل السبك المستعملة في التراث والدراسات الحديثة تضمنتها خطبة السيدة عائشة، واستعملتها كوسيلة سبك نصية.
- ثاني عشر: الحذف من الآليات المستعملة في الخطبة لتحقيق التلاحم النصي عن طريق مشاركة المخاطب في العملية التواصلية بإدراك مواطن الحذف وتعيينها وبيان المقصود منها.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأوائل، للحسن بن عبد الله العسكري، نشر دار البشير طنطا، الأولي ١٤٠٨هـ.

٢. الإحالة وأثرها في التماسك النصي: دراسة في الخطبة الفدكية، تأليف أحمد موفق مهدى حسين، كلية التربية، جامعة البصرة.

٣. الإحالة في ضوء علم اللغة النصي، أ. محمد الأمين مصدق جامعة محمد خيضر بسكرة.

٤. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، ط الأولي، كلية الآداب منوبة – تونس بالاشتراك مع المؤسّسة العربيّة للتوزيع ٢٠٠١م.

٥. أمالي ابن الشجري، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، نشر: مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٩١م.

٦. الانسجام في القرآن الكريم (سورة النور أنموذجا)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م. ٢٠٠٧م.

٧. البداية والنهاية، لابن كثير . تحقيق: علي شيري . ط: دار إحياء التراث العربي الأولي ١٩٨٨م.

٨. بلاغات النساء، لابن طيفور، شرح: أحمد الألفي، ط: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ١٩٠٨م.

٩. بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل، ط: عالم المعرفة المجلس الوطنيّ للثقافة للفنون والآداب، الكويت ١٩٩٢م.

١٠. البيان في روائع القرآن، د. تمّام حسّان، ط: عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدى، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية دون تاريخ.

١٢. تحليل الخطاب تأليف ج . ب براون، وج. يول، ترجمة د. الزلطيني ود. منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود.

١٣. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م.

١٤. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية، أحمد زكي صفوت، ط : دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان

١٥. جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الأولي ١٩٨٧م.

١٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر الثالثة ١٩٩٢م.

١٧. السبك النصي في العهد العلوي (الإحالة أنموذجا) لظافر الجياشي، ط : مؤسسة علوم نهج البلاغة ٢٠١٧م.

١٨. السبك النصي في معاهدة الرسول مع نصارى نجران د: منى إبراهيم عزام.

١٩. العربية من نحو الجملة إلى نحو النص د: سعيد مصلوح، جامعة الكويت، ١٩٩١م.

٢٠. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكِّية، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط : دار قباء للطباعة ـ القاهرة ـ الأولي ٢٠٠٠م.

٢١. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحري، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجان، القاهرة ١٩٩٧م.

٢٢. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية، الأولي ١٤٠٤هـ

٢٣. غريب الحديث للخطابي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، نشر دار الفكر دمشق الأولي ١٩٨٢م.

٢٤. غريب الحديث لابن قتيبة، ت د. عبد الله الجبور، ط: مطبعة العاني بغداد، الأولي ١٣٩٧هـ.

٢٥. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، ط الأولى، لجنة التأليف والتعريب، جامعة الكويت – الكويت ٢٠٠٣م.

٢٦. في اللسانيات ونحو النص د:.إبراهيم محمود خليل، ط الثانية، دار المسرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمَّان- الأردن، ١٤٣٠هـ.

٢٧. لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط الأولي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م

٢٨. اللمع في العربية لابن جنى تحقيق: د. فائز فارس، ط: دار الكتب الثقافية بالكويت.

٢٩. مصطلح التماسك النصي في التراث اللغوي العربي (مقاربة نصية)، د. عز الدين هبيرة مجلة العلوم الإنسانية العدد ٤٩ لسنة ٢٠١٨م.

٣٠. المعايير النصية لروبيرت دي بوجراند: قراءة نظرية في ضوء اللسانيات النصية العربية الحديثة، د: عز الدين هبيرة ـ مجلة أبوليوس.

٣١. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، ط: دار الفكر ١٩٨٥م.

٣٢. مفهوم الإحالة وموقعها من التماسك النصي مقال لـ أ. د: عرابي أحمد، جامعة ابن خلدون مجلة إشكالات في اللغة والأدب (د.ت).

٣٣. مقدمة أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر، الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر دون تاريخ.

٣٤. نثر الدر في المحاضرات للآبي تحقيق: خالد عبد الغنى محفوظ، ط: دار الكتب العلمية الأولي ٢٠٠٤.

٣٥. نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، بحث في مجلة فصول، المجلد العاشر العدد الأول والثاني.

٣٦. نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي ـ نشر مكتبة زهراء الشرق الأولي ٢٠٠١م.

٣٧. نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ط: المركز الثقافي العربي الأولي ١٩٩٣م..

٣٨. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة: د: تمام حسان، ط : الأولي، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٨م.

٣٩. نظرية علم النص رؤية منهجيّة في بناء النصّ النثريّ: د. حسام أحمد فرج. نشر مكتبة الآداب. الأولي ٢٠٠٧ م.